حكايات الشعوب

توكيتارو

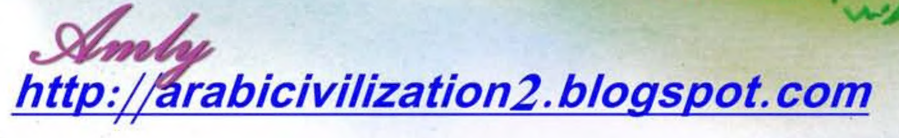
وحكايات أخرى
من اليابان



عبد التواب يوسف

رسوم : شريف زهير

سفير



حكايات الشعوب

توكيتارو

و حكايات أخرى

من اليابان

عبدالتواب يوسف

رسوم

شريف زهير



مقدمة

عِنْدمَا كُنتُ طِفْلاً كَانَتِ اليَابَانُ تَعْنِى عِندِى لُعبةً بَسِيطَةً ، لا يَتجَاوَزُ ثَمنُها الملِّيمَ . . وَقَدِ اختَفَتِ اللُّعبةُ وَاخْتَفَى المِلِّيمُ.

وكنْتُ وأَنَا أَدْرُسُ فِى كِتَابِ العُلُومِ أَقرأُ أَنَّ الذَّرَّةَ لا تَـنْشَطِرُ وَلا تَتَجزأُ. .لكنَّهَا فِى العَامِ نَفْسِهِ انْشَطَرتْ لِكَى تَذْبحَ مَدِينَتَينِ كَامِلَتينِ هُمَا : «هيروشيما » ، وَ «نجازاكى » وتَقْـتُلَ مِائةَ أَلفٍ ، ذَرَفَتْ عَـينَاىَ الدُّموعَ مِـنْ أَجْلِهِمْ . . لا شَكَّ أَنَّ أَحَدَهُم قَـدْ صَنَعَ لِى وَاحِدَةً مِنْ لُعَبِ طُفُولتِى .

ورَغمَ الهَزِيمةِ السَّاحِقَةِ وَقَـفَتِ اليَابَانُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى قَدَمَيهَا ، وَقَدَّمَتْ لِعَـالمِنَا أَجْهِزَةَ العَصْرِ الحديثِ : التليفزيـونَ ، والكُمبيوتر ، والسَّيارةَ . . وَمَا إِلَى ذَلِكَ . . لَكِنَّهَـا لَمْ تَتَخلَّ عَنْ أَدبِهَا الشَّعْبِىِّ العَرِيقِ ، وَقَدَّمَتْهُ إِلَى العَالَمِ فَخُورةً مُعْتَزَّةً بِهِ .

وأَطْفَالُ اليابانِ يُحِبُّـونَ مِصْرَ ، وَحَضَارَةَ مِصْرَ ، وَيَتُـوقُونَ إِلَى زِيَارتِها ، وَنَحْنُ نُرَحِّبُ بِهِمْ إِخْوةً وأَصْدِقَاءَ .

وَيَقُومُ بِنَاءُ دَارِ الأُوبرا فِى قَلْبِ نِيلِ القَاهِرَةِ صَرْحًا شَـامِخًا يَرْمُزُ إِلَى الصَّدَاقةِ المِصْرِيَّةِ اليابانيـةِ . وَتَوْثِيقًا لعُرَى الصَّدَاقَـةِ بَيْنَ البَلَدينِ يَطِيبُ لَنَا أَنْ نُقَدِّمَ هَذِهِ القِصَصَ الشَّعْبِيَّةَ التُّرَاثِيَّةَ مِنْ أَرضِ الشَّمْسِ المُشْرِقَةِ .

يوراشيما

منذُ سنينَ طويلةٍ عاشَ ولدٌ صغيرٌ بجانبِ البحرِ ، حيثُ تتكسَّرُ الأمواجُ الخضراءُ على الشطِّ ، ليتناثرَ رذاذٌ ضَبَابى ، مكونًا سحابةً رقيقةً . . هذا الولدُ « يوراشيما » كانَ يحبُّ الماءَ، كأنَّهُ شقيقٌ لَهُ . . وكثيرًا مَا كانَ يخرجُ فى قاربِهِ منذُ الفجرِ الأرجوانىِّ إِلَى لحظةِ غيابِ الشَّمسِ ، ليصطادَ الأَسْمَاكَ ، وذاتَ يومٍ عَلِقَ شىءٌ مَا بالشِّصِّ ، وجذبَهُ إِليهِ ، لكنهُ لم يَجِدْ سَمكةً ، بَلْ لمحَ سُلَحْفَاةً عجوزًا . . نَظَرَ إليهَا فِى لُطْفٍ ، وقَالَ :

– لا أَظُنُّنى قَادرًا عَلَى أَنْ أَحْتَفِظَ بِكِ يا صَدِيقتى العَجُوزَ ؛ إِذْ إِنَّكِ لا تَصْلُحينَ طَعَامًا لِعَشَائى . . لِذلكَ سأُطْلِقُ سَرَاحَكِ .

أَعَادَ « يوراشيما » السُّلَحْفَاةَ إِلَى المَاءِ ، مِنْ أَجلِ أَنْ تَحتَفِظَ بِحَيَاتِهَا أَلْفَ عَامٍ كَمَا يَعْتَقِدُ اليَابَانيونَ . . وَمَا إِنْ سَقَطَتْ بَيْنَ الأَمواجِ حتَّى أَثَارَتْ نَافُورَةً ، تَعَالتْ مِيَاهُهَا ،





وفى قَلْبِ الميَــاهِ خـرجَتْ فـتَـاةٌ غـايَةٌ فِى الجَـمَـالِ ، خَطـتْ نحـوَ القَـارِبِ و«يوراشيما»، وقَالتْ لَهُ:

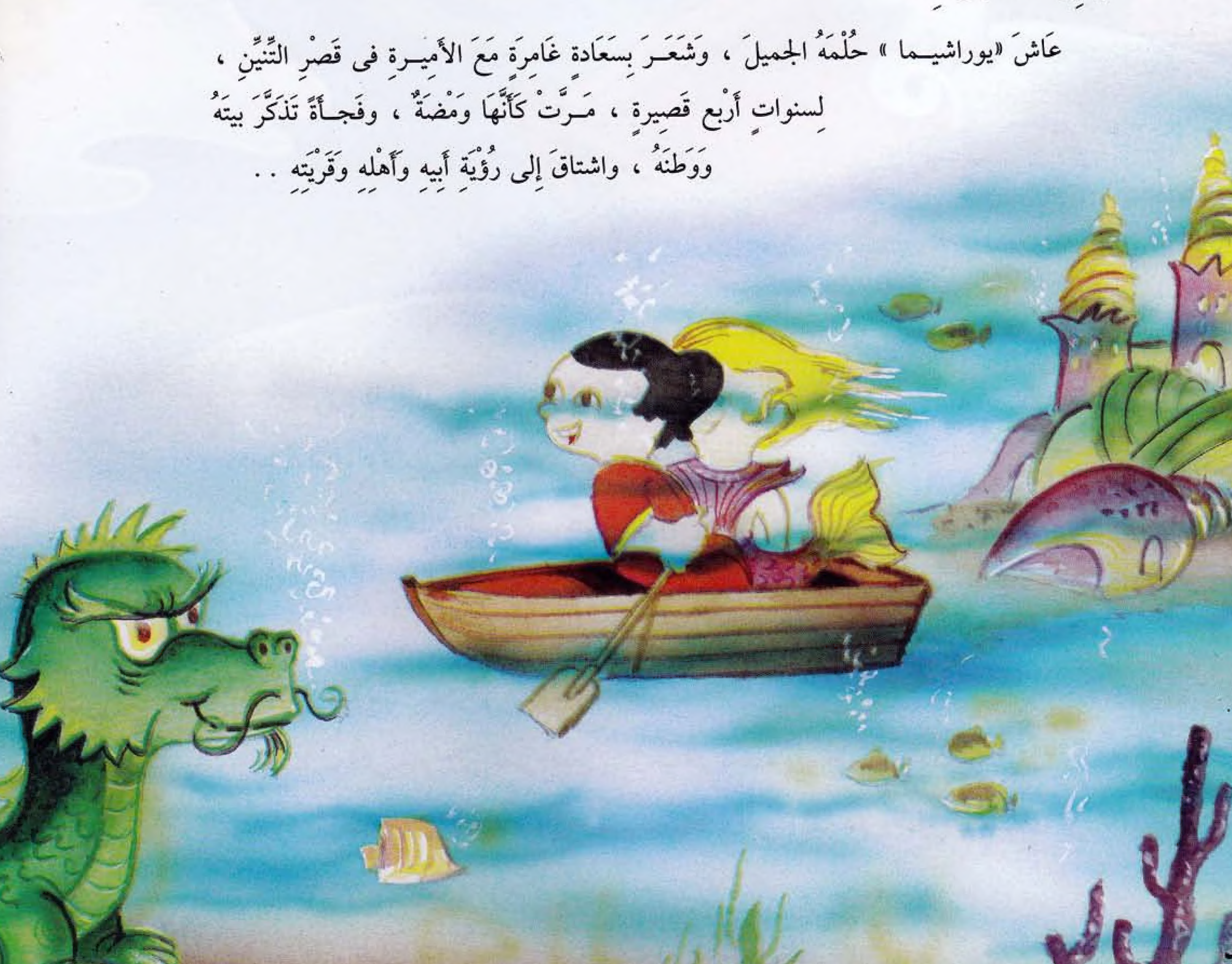
- إنَّنِى ابْنَةُ مَلِكِ البَحْرِ .. كُنْتُ مُتَنكِّرَةً فى هيْئَةِ السُّلَحْفَاة التى اصْطَدْتَها .. وقَدْ بَعَثَ بِى أَبِى لكَى أَخْـتَبِـرَكَ ، ولأَعْرِفَ إذَا كُنْتَ شَـفُوقًـا وعَطُوفًا ، كَـما يَبْـدُو علَى مَلامِحكَ ، .. أَمْ لا ؟ وهَا قَدْ ثَبَتَ لِى ذلكَ . إنَّ أَبِى يَقُولُ دائمًا إنَّ هَؤلاءِ الذينَ يُحِبُّونَ البَحْرَ يَسْتَحيلُ عَليهِم أَنْ يكُونُوا قُسَاةَ القلبِ .

هَلْ لَكَ أَنْ تَأْتىَ مَعى إِلَى قَصْرِ التِّنِّينِ الذى يُوجَدُ تَحْتَ هَذِه الأَمْوَاجِ الخَضْرَاءِ ؟

شَعَرَ « يوراشيما » بِفَرْحَةٍ غَامِرةٍ إزاءَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، التى قَبِلَهَا علَى الفورِ ، وأَمْسَكَ كُلٌّ مِنهُمَا بِمِجْدَافٍ ، وانْطَلَقَا بالقَارِبِ ..

وَقَبْلَ أَنْ تَغِـيبَ الشَّمْسُ وَرَاءَ قُضْبَـانِ الماءِ الأُرْجُوَانِىِّ ، كانَ «يوراشـيما » وَالأَميـرةُ قَدْ وصَلا إِلَى أعماقِ المياه ، تَحفُّهُمَا أَسْمَـاكٌ مُخْتَلفَةُ الأَلْوَانِ وَالأَحْجَامِ ، وتَسْبَحُ بَينَ الأَعْشَابِ والشُّعَبِ المرْجَانيَّـةِ ، وكَانتْ أَصْواتُ الأَمْوَاجِ تَصِلُ إِلَى سَمْـعِهمَا مِنْ فوقِـهم ؛ لتجعلَ مِنَ الصَّمت شيْئًا حُلْوًا ورائعًـا . . ووَصَلا إِلَى قصرِ التِّنِّينِ ، الذى بُنِىَ مِنَ المَحارَاتِ ، واللآلئِ والزُّمُـرُّدِ ، وكَانَتْ هُنَاكَ أَضْـوَاءٌ سَاطِعَـةٌ تَشعُّ مِنْهُ وَتَختـرِقُ المياهَ إِلَـى مَسَافَـاتٍ بَعِـيدَةٍ . . والأَسْمَاكُ تَسْبَحُ هُنَا وهُنَاكَ ، وتَـستجيبُ للنِّدَاءِ إِذَا مَا اسْتَدعَـاهَا أَحَدٌ . . وكَانَتْ هِىَ أَيْضًا ذَاتَ زَعانِفَ فِضِّيَّةٍ مُتَأَلِّقَة ، وتَقُومُ بِحرَكَاتٍ رِيَاضيَّةٍ بَارِعَةٍ ورَاحتْ تُقَدِّمُ لَهُمَا أَجْمَلَ الأَطْعِمَةِ التى يَحْتَوِيهَـا البَحْرُ ، وجَاءَ أَكْبرُ تنِّينٍ لِيقـومَ علَى خدمَتِهما أَثْنَاءَ جُلُوسِـهِمَا إِلَى المائدَةِ . . وكَانَ لِكـلِّ تنِّينٍ ذيـلٌ ذَهَبِىٌّ يتلألأُ وهُـوَ يُحَرِّكُهُ فِـى وَقَـارٍ واتـزَانٍ . . وكَانَ « يوراشيما » يَلْتَفِتُ يمِينًا ويَسَارًا ، لا يكادُ يُصَدِّقُ هَذَا الذِى يَجْرِى لَهُ ، وظَنَّ أَنَّهُ يَعيشُ حُلمًا غَرِيبًا . . لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ رَأَى مِثْلَهُ .

عَاشَ «يوراشيـما » حُلْمَهُ الجميلَ ، وَشَعَـرَ بِسَعَادةٍ غَامِرَةٍ مَعَ الأَميـرةِ فِى قصْرِ التِّنِّينِ ، لِسنواتٍ أَرْبعٍ قَصيرةٍ ، مَـرَّتْ كَأَنَّهَا وَمْضَةٌ ، وفَجـأَةً تَذكَّرَ بيتَهُ وَوَطَنَهُ ، واشتاقَ إِلَى رُؤْيَةِ أَبيهِ وأَهْلِهِ وقَرْيَتِهِ . .





وَشَعَرَ بِرَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ فِى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى وَطَنِهِ ، وإِلَى الشَّطِّ الذِى تَتَكَسَّرُ عليه الأمواجُ الخضراءُ ، وتغمرُ رمالَهُ التِى كانَ يلعبُ عَلَيها ، ويَبْنِى مِنْ فوقِهَا بُيُوتًا وقِلاعًا مِنَ الرِّمَالِ . . يَهْدِمُهَا ويُعيدُ بناءَهَا مِنْ جَدِيدٍ . . ولَمْ يكُنْ « يوراشيما » فِى حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ كُلَّ هذَا للأَميرة ؛ فقدْ أدركتْهُ ، كَأَنَّما كانتْ تَنْتَظِرُهُ . . وقَالَتْ لَهُ :

-هأَنَا أَرَى أَنَّكَ فِى شَوْقٍ إِلَى بَيْتِكَ القَدِيمِ وإِلَى أَهْلِكَ ، وَبَلْدَتِكَ ، ولَسْتُ أَستطيعُ أَنْ أَحُولَ بَيْنَكَ وبينَ ذلكَ . . وإِنَّنِى لأَخْشَى أَنْ أَدَعَكَ تَذْهَبُ . . ولكنِّى أَعْلَمُ يَقِينًا أَنكَ سَتَرْغَبُ فِى أَنْ تعودَ إِلَى هُنَا مَرَّةً أُخرَى ، ومَرْحبًا بِكَ . . خذْ هذَا الصُّنْدُوقَ وحَافِظْ عَلَيهِ جيِّدًا ، ولا تُحَاوِلْ قَطُّ أَنْ تَفْتَحَهُ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حدَثَ فإِنَّكَ لَنْ تَعُودَ أَبدًا .

وَضَعَتِ الأَميرةُ « يوراشيما » فِى قَارِبِهِ ، لِتحملَهُ الأَمْوَاجُ إِلَى سَطْحِ الماءِ ، وَرَاحَ يَجْدِفُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ والشَّوْقُ يَدْفَعُه تجاهَ مَسقطِ رأْسه ، وَبِهِ شَوقٌ جارِفٌ إِلَى رِمَالِ الشَّطِّ ؛ حيثُ تَعَوَّدَ أَنْ يَلْهُوَ وَيَلْعَبَ منذُ طُفُولَتِهِ المبكِّرَةِ . .

وَقَدْ تمكَّنَ منَ الوُصُـولِ إلَى قَرْيَتِه ، التى رَاحَ يَتطلَّعُ إلَيهَـا فِى حُبٍّ . . إنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ وَرَاءَ هَذَا المُنْعَطَفِ بَيْتَـه ، وكُوخَه ، قُربَ الشَّـجرَةِ الضَّخْمـةِ العَجُوزِ ، وبَادَرَ إلَى مُغَـادَرةِ القَارِبِ ، ووَضعَ أَقْدَامَه عَلَى الرِّمَالِ ، وَسَارَ قَليلا بَاحثًا عـمَّا تَعوَّدَ أَنْ يرَاهُ . . لكنَّ مُفَاجَأةً كانتْ تَنْتَظِرُهُ. . لَم يكُنْ هُنَاكَ بَيْتٌ . . كَمـا أَنَّ الأكْوَاخَ والبُيُوتَ الأُخْـرَى لَمْ تكُن هِيَ التى تَعوَّدَ أَنْ يرَاهَا . . فَهِى غـريبةٌ عَليهِ ، ولَمْ يقَعْ بَصرهُ عَليـهَا مِنْ قَبْلُ ، لكنَّهُ مَضَى عَلَى الطَّرِيقِ يَلْتَـفِتُ حَولَه ، وإِذَا بِهِ يَلْتَقِى مَعَ أَطْفَالٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ تَعرَّفَهُم ولَا رآهُم ، وكَانُوا يَنْظُرُونَ إلَيه فِى دَهْشَةٍ كبيرةٍ .

وكَانَتْ نَظَرَاتُهم عَـجِيبةً ، غَرِيبَـةً ، كَأَنَّما يَرْغَبُونَ فى أَنْ يَعْـرِفُوا مَنْ هُوَ ، وإِلَى أينَ يَذْهبُ، ومِنْ أَينَ أَتى . . كَانَ يَلْتَفِتُ هُنَا وَهُنَاكَ ، لكنَّ عَينَيهِ لم تَقَعْ عَلَى شَخْصٍ سبقَ لَه أَن التقَى به، أَوْ عَرَفَهُ . . إنَّهُم أُناسٌ غُرباءُ تمامًا .

وَسَأَلَ نَفْسَه :

- هَلْ يُمكِنُ أَنْ يَحْدُثَ كُـلُّ هَذَا التَّغيـيرِ خِلالَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ ، لا أكْـثَرَ ولا أقَلَّ ؟! . .إنَّنى لا أكادُ أَتبيَّنُ شيئًا سَبَقَ لى أَنْ رأَيْتُه !! تُرَى مَا الذى حَدثَ ؟! . .

لمحَ «يوراشيما » رَجُلا عَجُوزًا قَادمًا مِنَ الشَّطِّ ، فاتَّجَهَ إِلَيهِ يَسْأَلُه :

- هَلْ تستطيعُ يا سَيِّدى أَنْ تُخْبِرَنى أَيْنَ ذَهَبَ بيتُ « يوراشيما » ؟.

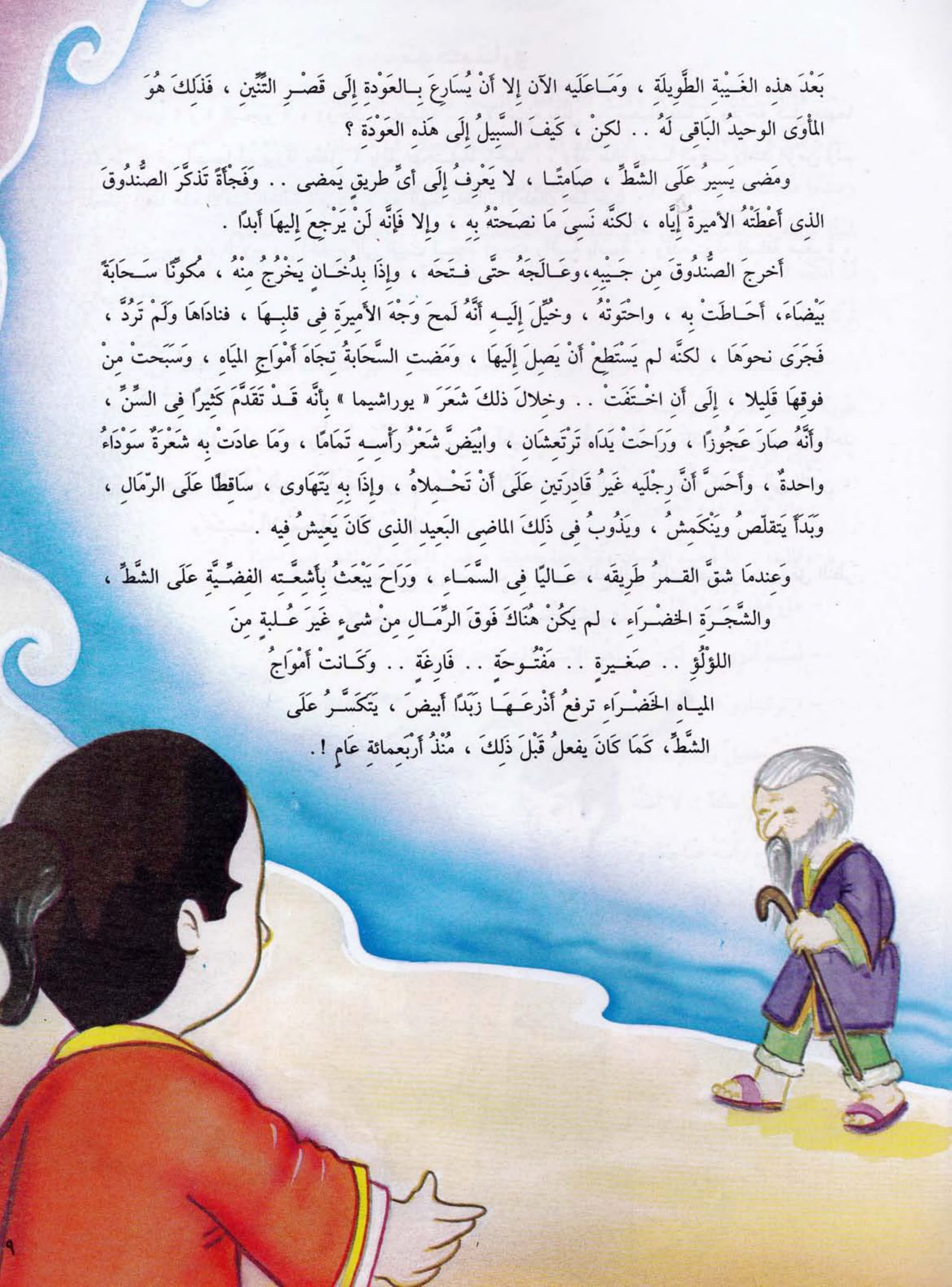
قالَ الرَّ جُلُ العَجُوزُ:

- « يوراشيما ؟! » . . تَسْأَلُنى عَنْ « يوراشيمـا ؟ » . . أَلا تعرِفُ أَنَّه قَدْ غَرِقَ مُنْذُ أَرْبعمِائةِ سَنَةٍ؟! لَقَـدْ خَرَجَ بِقَـارِبِهِ إِلَى عُرْضِ البَـحْرِ وَلَمْ يَعُـدْ . . وقَدْ رَحَلَ عَنِ الدُّنيـا أَشِقَّـاؤُه وأَبْناؤُهم وأَحْفَادُهم ، بَلْ وأَحفادُ أَحْفَادِهم مُنْذُ سَنَوَاتٍ بَعيدَةٍ .

- مَاذَا ؟!

- وَغَرِقَ هُوَ ذَاتَ صَيْفٍ بَعِيدٍ .

كَانَ « يوراشـيما » يَسْـتَمِعُ وَهُوَ فِى ذُهُولٍ . . لم يَعُدْ أَبُوه وَأُمُّـه عَلَى قَيدِ الحَـيَاةِ ، وكَذَلِكَ أَشقَّاؤُه ، وأَصْـدِقَاءُ طُفُولَتِه . . وأَيضًا الكُوخُ الذى كَانُوا يَعيـشُونَ فيه . . كَمْ كَانَ يُحبُّه ويُحبُّهم ! وكَم يَهُزُّه الشَّوقُ إِلَى لُقياهُم



بَعْدَ هذه الغَـيْبة الطَّويلَةِ ، ومَـاعلَيه الآنَ إلا أنْ يُسَارِعَ بِـالعَوْدة إلَى قَصْـرِ التِّنِّينِ ، فَذَلِكَ هُوَ المأْوَى الوحيدُ البَاقِى لَهُ . . لكنْ ، كَيفَ السَّبِيلُ إلَى هَذه العَوْدَة ؟

ومَضى يَسِيرُ عَلَى الشَّطِّ ، صَامِتًـا ، لا يَعْرِفُ إِلَى أىِّ طريقٍ يَمضى . . وَفَجْأَةً تَذكَّرَ الصُّنْدُوقَ الذى أَعْطَتْهُ الأميرةُ إِيَّاه ، لكنَّه نَسِىَ مَا نصَحَتْهُ بِهِ ، وإلا فإنَّه لَنْ يَرْجِعَ إليهَا أبدًا .

أخرجَ الصُّندُوقَ من جَـيْبِه، وعَـالَجَهُ حتَّى فـتَحَه ، وإذَا بدُخَـانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ، مُكونًا سَـحَابَةً بَيْضَاءَ، أَحَـاطَتْ به ، واحْتَوتْهُ ، وخُيِّلَ إليَـه أنَّهُ لَمحَ وَجْهَ الأَميرَةِ فِى قلبِـهَا ، فنادَاهَا ولَمْ تَرُدَّ ، فَجَرَى نحوَهَا ، لكنَّه لم يَسْتَطعْ أنْ يَصِلَ إليَهَا ، وَمَضتِ السَّحَابةُ تجَاهَ أَمْوَاجِ الميَاهِ ، وَسَبَحتْ مِنْ فوقِهَا قَليلا ، إِلَى أَنِ اخْـتَفَتْ . . وخِلالَ ذلكَ شعَرَ « يوراشيما » بأَنَّه قَـدْ تَقَدَّمَ كَثِيرًا فِى السِّنِّ ، وأَنَّهُ صَارَ عَجُوزًا ، وَرَاحَتْ يدَاه تَرْتَعِشَانِ ، وابْيَضَّ شَعْرُ رَأْسِـه تَمَامًا ، وَمَا عادَتْ بِه شَعْرَةٌ سَوْدَاءُ واحدةٌ ، وأَحَسَّ أَنَّ رِجْلَيه غَيرُ قَادِرتَينِ عَلَى أنْ تَحْـمِلاهُ ، وإذَا بِه يتَهَاوى ، سَاقِطًا عَلَى الرِّمَالِ ، وَبَدأَ يَتقلَّصُ وَيَنْكَمِشُ ، ويَذُوبُ فِى ذَلكَ المَاضِى البَعِيدِ الذى كَانَ يَعيشُ فيه .

وعِندمَا شقَّ القَـمرُ طَرِيقَه ، عَـاليًا فِى السَّمَـاءِ ، وَرَاحَ يَبْعَثُ بِأَشِعَّـته الفِضِّـيَّةِ عَلَى الشَّطِّ ، والشَّجَـرَةِ الخضْـرَاءِ ، لم يكُنْ هُنَاكَ فَوقَ الرِّمَـالِ مِنْ شىءٍ غَيرَ عُـلبةٍ مِنَ اللؤْلُؤِ . . صَغـيرةٍ . . مَفْتُـوحَةٍ . . فَارِغَةٍ . . وكَـانتْ أَمْوَاجُ الميَـاه الخَضْـرَاءِ ترفعُ أَذْرعَـهَـا زَبَدًا أَبيضَ ، يَتَكَسَّـرُ عَلَى الشَّطِّ، كَمَا كَانَ يفعلُ قَبْلَ ذَلِكَ ، مُنْذُ أَرْبَعِمائةِ عَامٍ !.

توكيتارو

« كانايا » و « كيـجيو » ، زَوْجَانِ سَـعِيدانِ . . ولا شيءَ يُقَلِّلُ مِنْ سَعَـادَتِهِمَا ، وَفَرْحَة كُـلٍّ منهُمَا بِالآخَرِ ، غَيرَ أَنَّهُـمَا لَمْ يُرْزَقَا بِطِفْلٍ ، يَزِيدُ بَهْجَتَـهُمَا بِالحياة . . وقَدْ طَالَ بِهمـا الوقتُ وامتدَّ الزمنُ ولَم تَتَحقَّقْ لَهُمَا هَذِه الأُمْنِيَّةُ الغَالِيَةُ العَزِيزَةُ ، مَعَ أَنَّهُمَا يُحِبَّانِ الأَطْفَالَ حبًا جَما .

وذَاتَ يومٍ عَادَ الزَّوْجُ مِنَ الخَارِجِ إِلَى البيتِ لِيـجدَ زَوْجَتَهُ رَاضِيَةً بَاسِمَةً ، وَقَدَّمَتْ لَهُ لِفَـافَةً صَغِيرةً ، وهِيَ تَهْمِسُ :

- انْظُرْ .

- أيُّ شيءٍ هَذَا؟ .

- إِنَّهُ طِفْلٌ صَغِـيرٌ ، وَهُو مُـجَرَّدُ دُمْيَـةٍ بَسِيطةٍ لَطِيـفةٍ ، وكُنتُ أَرَاهُ فِى نَافِـذَةِ مَعْروضَـاتِ أَحدِ المتاجـرِ، وأَتَطَلَّعُ إِلَيهِ ، وأَرْغَبُ فِى شِـرَائِه ، وَالإِتْيَانِ بِهِ إِلَى البَـيْتِ ، لَكِنَّه كانَ غَـالِىَ الثَّمَنِ ، وَخَشِيتُ أَلا يُعجبَكَ وأَلا يَرُوقَكَ .

كَانَ الزَّوجُ يَستَمِعُ فِى صَمْـتٍ ، وَهُوَ يَتَطلَّعُ إِلَى ذَلِكَ الصَّغيرِ ، ويُدَقِّقُ النَّظَرَ فِى مَلامِحِه ، بينمَا وَاصلَتْ زَوْجتُه الحديثَ . . .





- لَقَدْ أَحْبَبْتُه كَثِيرًا ، وكُنتُ أَترددُ عَلَى المتجرِ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَرَاهُ . . ومَامَرَّ يومٌ إلا تَذَكَّرْتُه ، إِلَى حدٍّ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ رَفِيقِى لَيلَ نَهَارَ . . وَعِنْدَمَا ذَهَبْتُ اليومَ لِكَي أَزُورَه وأَتطلَّعَ إِلَيهِ استدعَانِى صَاحِبُ المتْجَرِ لِيقولَ لِى شيئًا غَرِيبًا . . لَقدْ رَأَى فِى حُلمٍ لَيلةَ أَمْسِ أَنَّهُ يُهْدِينى إِيَّاهُ ! . . أَوَيَقْبَلُ أَىَّ ثمنٍ أَستَطِيعُ أَنْ أَدْفعَهُ لَهُ . . وَقَدْ أَعْطَيتُه مَا مَعِى رَاضِيةً . . وكُلُّ مَا كنتُ أَخْشَاهُ أَلا يُعجبَكَ ، وأَلا تَرْتَاحَ إِلَيه . . مَاذَا تَرَى؟.

- هُوَ لَطِيفٌ وظَرِيفٌ . . وأَذْكُرُ أَنِّى لَقِيتُ عَجُوزًا طَيبةً ، قَبْلَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَقَالتْ لِى شَيئًا غَرِيبًا مَازِلتُ أَذْكُرُه ولَمْ أَنْسَهُ قَطُّ .

سَأَلَتْهُ الزَّوجَةُ :

- مَاذَا قَالتْ هَذِهِ العَجُوزُ؟.

- قالتْ : إِذَا أَحبَّ الإنسانُ دُميةً حُبا حَقِيقيا ، فَمِنَ الممكنِ أَنْ تَدبَّ فِيهَا الحياةُ .

- هَلْ هَذَا مَعْقُولٌ ؟!.

- لَسْتُ أَدْرِى . . لَكِنْ : مَاهُو الاسمُ الذِى اخْتَرْته لَهُ ؟.

- « توكيتارو » .

- اسمٌ جميلٌ ومَقْبُولٌ . . غدًا أَصْنَعُ لَهُ سَرِيرًا صَغِيرًا .

قَالتْ ضَاحِكَةً : لا أَظنُّهُ يَحتَاجُ إِلَى سَرِيرٍ . . تَكْفِيهِ عُلْبَةُ ثِقَابٍ .

هَزَّ الزَّوجُ رَأْسَهُ ضَاحِكًا وَهُوَ يَقُولُ :

- بَلْ أُرِيدُ لَه فِرَاشًا نَاعِمًا وَثِيرًا .

قَالَتْ : وأَنَا سَوفَ أَصْنَعُ لَهُ ثِيابًا أَنِيقَةً وَجَمِيلَةً !

عَاشَ « توكيـتارو » بَينَ الزَّوجَينِ ، وَهُمَا سَعِيـدَانِ به كلَّ السَّعَادَةِ ، وكَانَ هُوَ أَيضًا سَعِيدًا بِهِمَا . . وكَثيرًا مَا كَانَا يُحِسَّانِ به ، كَأَنَّمَا هُوَ طِفْلٌ حقِيقِىٌّ ، يَبْتَسِمُ لَهُمَا ، بَلْ وَيضْحَكُ ، وَيَمُدُّ إليهِـما ذِرَاعَيه مِنْ أَجْـلِ أَنْ يَحملاهُ . . وإِذَا مَا رَفَـعَهُ أَحْدُهُمَا مِنْ فِرَاشِه امتدتْ أَصَابِعُهُ الصَّغِيرةُ تَتَلمَّسُ وَجْهَهُ وتَتَحسَّسُهُ . . ولَمْ يكُنْ أَحَدٌ منهما يَقُولُ شَيئًا مِنْ هَذَا القَبِيلِ ، بَلْ هُما صَامِتَانِ سَاكِتَانِ عَنْ هَذا الذِى يَجْرِى وَيَحْدُثُ . . إِلَى أَنْ وَقَعَ ذاتَ ليلةٍ أَنْ تَسَلَّلَ بَعْضُ اللّصُوصِ إِلَى البـيتِ ، يُريدُونَ أَنْ يَسْرِقُوا مِنْهُ مَا يجِـدُونَ فيه مِنْ أَشْياءَ غَاليةٍ وثَمِينَةٍ . . وَفجأةً لَمَحُوا « توكيـتارو » وَهُوَ يَقْفِزُ مِنْ فِرَاشِه الصَّغِيرِ ، ويتَّجِهُ نحوَهُم فى شَـجَاعَةٍ وجَسَـارَةٍ ، وإِذَا بِهم يَفْزَعُونَ ، ويَرْتَعِدُونَ ، وَيجـرُونَ هَارِبِينَ ، وكَانَ الزَّوجانِ قَـد اسْتَيقَظَا ، وشَـاهَدَا كُلَّ شىءٍ فِى دَهْشَةٍ وَذُهُولٍ ، وقَدْ رَجَعَ « توكيـتارو » إِلَى فِراشِه فِى هُدُوءٍ ، وَسَادَ السُّكونُ أَرْجَاءَ البيتِ .

هَمَسَتِ الزَّوْجَةُ :

- هَلْ هَذَا الذِى رَأَيْنَاهُ شَىءٌ حَقِيقِىٌّ واقعِى ؟ أَوْ تُرَانَا نَحْلُمُ ؟! .

- لَسْتُ أَدْرِى .





- إنَّه يَبْدُو طِفْلا طَبيعيا حيا .

- نَعَمْ .

وَوَاصَلا النَّومَ .

وَمَـرَّتْ أيّامٌ ، وذَاتَ لَيلَةٍ أُخْرَى ، كَـانَ الزَّوجَـانِ نَائمين ، وَشَـبَّتِ النَّارُ فِى بعضِ أثاثِ المنزلِ ، وبَدأَ الحريقُ يَمتدُّ ، دُونَ أَنْ يَسْتَـيْقِظَا . . وَإِذَا بالصَّغيرِ «توكيتارو » يَلْمِسُ وَجْـهيهِمَا بِأنَامِلهِ الرَّقيقَةِ ، والدَّقيقَةِ ، فَقَامَا مِنْ نَومِهِمَا فِى فَزَعٍ وَخَوفٍ ، وانْطَلقَا إِلَى خَارجِ الدَّارِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلاه مَعَهُمَا ، خَوْفًا مِنَ النَّارِ . . غَيرَ أَنَّ النَّارَ أَحْرقتْ كُلَّ شيءٍ . . وقَالتِ الزَّوجَةُ :

- المهمُّ ، أنَّنَا مَازلنَا أَحيَاءً .

- نَعَمْ ، لَقَدْ بَنَينَا هَذَا البيتَ ونَستطيعُ أَنْ نُعيدَ بِنَاءَهُ مِن جَدِيدٍ .

- وَأَفْضَلَ مِمَّا كَانَ ! .

وَهَذا هُوَ مَا حَدثَ فِعْلا .

وقَدْ ظَلَّ الزَّوجَانِ يُحسَّانِ باستمرارٍ أَنَّهُما مَدِينانِ بِحَيَاتِهِما لِلصَّغيرِ « توكيتارو » .

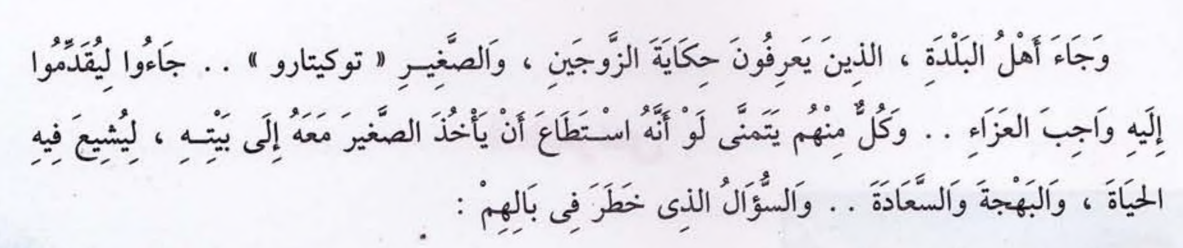
وبَنَى « كانايا » و « كيجيو » البَيْتَ ، ووَضَعَا فيه أَثَاثًا جَميلا بَسِيطًا ، وعَادَتِ الحياةُ تَمْضِى هَادِئَةً وَادِعَةً .. لِسَنَواتٍ طَوِيلَة ، وثَلاثَتُهُم يَعيشُونَ فِى رِضًا وَسَعَادَة .. غَيرَ أَنَّ الأَبَّ « كانايا » ، بَعْدَ حِينٍ ، رَحَلَ عَنِ الدُّنْيَا وبَكَتْ زَوْجَتُهُ «كيجيو» كَثيرًا عَلَيه ، وعَاشَتْ حَزِينَةً تَرْقُبُ الصَّغيرَ .

كَانَ « توكيتارو » يَصْحُو مِنْ نَومِهِ كُلَّ يَومٍ وَالدُّمُوعُ تُبَلِّلُ الوِسَادَةَ التى يَضَعُ عَلَيهَا رَأْسَهُ ، وَرَاحَتْ أُمُّهُ تُحَاوِلُ أَنْ تَتَذَكَّرَ .

- مَتَى كَانَتْ دُمُوعُهُ تَنْزِلُ فِى المَاضِى؟ .

كَانَ ذَلِكَ يَحْدُثُ فِيمَا مَضَى ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِىَ بِهِ إِلَى البَيْتِ .. أَمَّا عِنْدَمَا جَاءَ لِيَعِيشَ مَعَهُمَا ، فَقَدْ أَحَسَّ بِالأَمَانِ والاطْمِئنَانِ ، وَمَا عَادَ يَبْكِى .. لكِنَّه هَا هُوَ مَرَّةً أُخْرَى يَذْرِفُ الدُّمُوعَ ، حُزْنًا ولَوْعَةً عَلَى أَبِيهِ الذى آوَاهُ .. وأَطْعَمَهُ .. ورَعَاهُ .. وأَسْعَدَهُ .. هَلْ مِنْ سَبيلٍ لِكَى يَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ البُكَاءِ ؟ .

لَقَدْ كَبِرَتِ الأُمُّ وَصَارتْ عَجُوزًا .. لكِنَّ «توكيتارو » ظَلَّ عَلَى حَالِه نَفْسِهَا .. بَقِىَ طِفْلا، كَمَا كَانَ مُنْذُ قَدِمَ إِلَى هَذَا البَيْتِ الدَّافِئِ الحَنُونِ .. وبَعْدَ فَتْرةٍ رَحَلَتِ الأُمُّ عَنِ الحَيَاةِ .. وَهَذَا مَصِيرُ كُلِّ الأَحْيَاءِ فِى الدُّنْيَا ..



وَجَاءَ أَهْلُ البَلْدَةِ ، الذينَ يعرِفُونَ حِكَايَةَ الزَّوجَين ، وَالصَّغيرِ « توكيتارو » . . جاءُوا لِيُقَدِّمُوا إِلَيهِ وَاجِبَ العَزَاءِ . . وكُلٌّ مِنْهُم يتمنَّى لَوْ أَنَّهُ اسْتطَاعَ أَنْ يَأْخُذَ الصَّغيرَ مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِ ، لِيُشيعَ فيهِ الحيَاةَ ، وَالبَهْجةَ وَالسَّعَادَةَ . . وَالسُّؤَالُ الذى خَطَرَ فِى بَالِهِمْ :

- مَنْ يَستَطيعُ مِنَّا أَنْ يُقْنِعَهُ بِالذَّهَابِ مَعَهُ؟.

وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى البَيْتِ ، كَانتْ هُنَاكَ مُفَاجَأَةٌ تَنْتَظِرُهُم جَمِيعًا . . « توكيتارو » لَيْسَ مَوجُودًا . . اختَفَى تَمَامًا . . تُرَى : أَينَ ذَهَبَ ؟ وكَيفَ ؟ ولِماذَا؟ . .

عَلَى أَنَّ مُفَاجَأَةً أَكْبَرَ كَانَتْ فِى انْتِظَارِهِم فِى اليَوْمِ نَفْسِه ، لَقَدْ ظَهَرَ « توكيتارو » فِى نَافِذَةِ المعْرُوضَاتِ فِى المتْجَرِ القَدِيمِ ، وَفِى مكَانِه السَّابِقِ نَفْسِهِ ، رَغْمَ مُرُورِ السِّنينَ الطِّوَالِ . . كَانَ يَقِفُ حَيْثُمَا كَانَ . .

تُرَى هَلْ سَيَحمِلُه شَخْصٌ مَا قَرِيبًا إِلَى بَيتِهِ ، لِيُشِيعَ فِيه الدِّفءَ، وَالبَهْجةَ ، وَالسَّعَادَةَ ؟.



فهرس

رقم الإيداع ٥٤٠٤ / ٩٧ الترقيم الدولى: ISBN : 977 - 261 - 537 - 1



سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص. ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩